وقد توفي في بغداد سنة ١٢٢٣ ﻫ = ١٨٠٨م ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي وقد اعقب اربعة اولاد وهم الملا حسين والملا علي والملا عبد الله والملا اسعد .

كاظم الدجيلي

التشوه والتزين عند الحيوانات

Masques et Oripeaux chez les Animaux.

ليس الوفاق الغريب الموجود بين الحي وبين مايجاوره على مامر بنا سابقاً الا قطرة من بحر تبدل الحيوان وتنكر زيه ليتوارى عن البصر ويرهب عدوه ويظفر بنجاته، بل هناك امر آخر، وهو: انه يتزين ويتزخرف ويلبس لكل حالة لبوسها بموجب مقتضى الحال. خذ مثالاً لذلك المتمغرة «١» وهي الدويبة المسماة بالفرنسية (réduve)، فانها تتمرغ بالتراب والقمامة وتسدل على وجهها نقاباً درنا حتى يظن الناظر اليها انها رُتيلاء هائلة، لانها تماثلها بكل حركاتها وسكناتها وسيرها المضطرب. ويحذو هذا الحذو السرطان المعروف برتيلاء البحر. فانه اذا اراد ان يخفي اثره على سمك اللما خصوصاً والاسماك النهمة عموماً يغرس اصول الفوقس «٢» (algue) على صدفته ولا تعتم ان تنمو تلك الاصول حتى تصبح رويداً رويداً كالجزة المنتفشة فيتسنى له حينئذٍ ان يختلط بالصخور المغطاة بمثل ذلك النبات .

وبين الحيوانات التي تحوز قصبات السبق في حلبة التغير والتبدل

(١) المتمغرة اسم هذه الدويبة التي تتمغر بالتراب وقد اطلقنا هذا الاسم عليها كما اطلقه الافرنج من باب تسمية الشيء باسم عمله هذا فضلاً عن انه من باب التعريب المعنوي. (لغة العرب) (٢) الفوقس وردت بصورة الفوقس في ابن البيطار وهو غلط لان الكلمة يونانية الاصل وهي فيها فوقس Phucos بالفاء لا بالقاف (لغة العرب)

والنكر السمك الفوقسي poisson-algue والاريان والقريدس الفوقسي Crevette-algue فانهما يعيشان بين الكلا البحري المعروف بالفوقس وذلك انها يتحككان به فيلتصق منه شيء كثير بهما حتى يضحيا هما والنبات شيئاً واحداً واذا اخذ الانسان بيده واحدة من هذه الاسماك يعسر عليه ان يعرف اين يبتدئ الفوقس واين ينتهي الحيوان كيف لا وقد اصبح جسمه نحيفاً ضامراً وفيه زوائد طويلة تحاكي الاوراق .

لايحق لنا ان نكره هذه الحيوانات التي تحاول النكر والتبدل دفاعاً عن نفسها، ولكن تسوءنا رؤية مثل هذا العمل في غيرها، اذ ترمي الى غرض ثبوت عند تسترها، وهو انها لاتفعل ذلك الا لتهجم على طريدتها وتباغتها فتجرعها حينئذٍ كاس الردى حتى ثمالتها. ولهذا تتخذ المكر والخداع وسيلة للبلوغ الى مآربها السيئة، فتتزمل برداء لا يستشف منه فساد غريزتها، فتنساب بين اعدائها كالجاسوس الخؤون ولا تخشى طارقاً يداهمها اذا صارت بين خصومها. ومن هذا القبيل ذُبابة الورد (volucelle) وكان الاجدر ان تسمى «رعب الخلايا» فانها تشبه بصورتها وشكلها الصقيع وهو نوع من الزنابير اسمه بالافرنجية «freton» اوتشبه الزنبور «guêpe» او السرمان «bourdon» فتدخل مساكن الزنابير وخلايا النحل خلسة ولوكان خفرها قائماً على الباب وقد حفظ مدخله ومخرجه. فتبيض هناك راخية البال لاخوف عليها من انتهاك سرها لكن لايبطئ ان يخرج من بيضها طوائف من الدعاميص كانها عساكر جرارة شاكة السلاح فتلقي الموت حواليها .

٢ : الجبان يدعى الشجاعة

ان حب الحياة يسوق غالباً بعض الحشاش اي الحيوانات غير المؤذية الى تقليد هيئة واخلاق الحيوانات الكثيرة الاذى والضرر. ومن درس اخلاقها يعجب من تظاهرها بامارات الشجاعة، مع ان غريزتها على جانب عظيم من الضعف والجبن. ويرى هذا المشهد يومياً في الطبيعة، من ذلك الدويبة المعروفة بالزباء الجاسية «١» وبالافرنجية (éristale tenace). فهي تبين لاول نظرة هائلة ويلتبس امرها على الناظر بغيرها لخفة خصرها ولون زبيبها المشرب شقرة ولسمرة حلقاتها فاذا قبضت عليها فانها لا تؤذيك ومن اجناس هذه الحيوانات الفراشة النحلة المسماة بالافرنجية (sésie frelon) او apiforme فهي توجد عادة على اشجار الحور في شهر حزيران. ومن يرها يحكم وحياً انها زنبور كبير موذٍ، فان جسمها مخطط بخطوط صفراء ذهبية، واجنحتها نحاسية اللون، لكنها لا تضر ضرر النحل والصقيع.

وكثيراً ما يخدع الانسان بظواهر بعض الحيات فلا يميز السامة منها من غير السامة ويصعب عليه ان يفرق بين الحفث والافعى ولو كان يعرف بعض الظواهر التي تمتاز بها لانها على جانب عظيم من الدهاء. وقد عرف ذلك الاقدمون فقال السيد المسيح في التنزيل العزيز «كونوا حكماء كالحيات».

(١) الزباء: مؤنث الأزب وهو ذو الزبب اى الزغب والشعر الناعم. وقد اطلقنا هذا الاسم على هذه الدويبة وهي التي لها جناحان متباعدان عند سكون حركتها. ويغشى جسمها زغب ناعم. ولدعاميصها ذنب طويل دقيق عليها ندبات هي متنفساتها وهي تكون في المراحيض وحأة البواليع والمستنقعات والغدران. (لغة العرب)

ومن الذين خدعوا بتلك الظواهر أحد المعلمين وكان يدرس في دار التحف بباريس اخلاق الزحافات فانه قبض ذات يوم على حية صغيرة ظاناً انها غير مؤذية ولكن ساء ظنه إذ وجدها افعى سامة فيها نتى الخبث وكادت ترديه لولم تنكزه الا نكزة خفيفة .

ان الحيوانات غير المؤذية من هذا النوع متى شعرت بدنو الخطر تنتصب وتتظاهر بانها تريد لسع عدوها فيولي الادبار . وقد عرف العرب ذلك وورد ذكره في كتبهم اللغوية في تعريف الحفاش وهي حية عظيمة تنفخ ولا تؤذي وقد جاء في كتاب فقه اللغة عن كل من العربد والعسود انه حية تنفخ ولا تؤذي . وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان تفصيل ما تفعله هذه الانواع من الحيات فليراجع في محله .

٣ : الدويبات تتشكل باشكال الاوراد

لندخلن الآن عالماً جديداً فيه للحشرة المنزلة الاولى من الشان والخطورة إن الاحياء هنا لاتحاول هذه المرة ان تتشبه بالاحياء او بالجماد كائناً ما كان تشبهاً قريباً او بعيداً للذب عن نفسها كما رأينا فويق هذا بل تأخذ صورة بعضها اخذاً محكماً بالغاً حد الاتقان ليس وراءه مزيد لمستزيد .

ان الدويبات والنباتات متكافلة بعضها لبعض في القوت . فالزهرة تفيد الذبابة برحاقها وبكونها تتغذها كنّاً لها . والذبابة تفيد الزهرة بتلقيحها بما يخرج منها من الذرق وبما يعلق بارجلها او باجنحتها من اللقاح . واذا اراد الطائر ان يظفر بالدويبة فانه لايتجشم مشاق البحث والتفتيش عنها بل يذهب توّاً الى النباتات وهناك يسطو على طريدته فاذا ارادت ان تنجو منه تختفي

وتتنكر ولهذا نراها تبالغ في التشبه بالنبات الذي تسقط عليه فتماثل تارة لحاءً وطوراً ورقةً ومرةً غصناً واخرى ثمرة .

فالطائر لايميز الفراشة المسماة بالمغسقة او المنقوبة العروس « ١ » « lichénée mariée » التي هي فراشة كبيرة تظهر في الغسق وتحط على الحور ساكنة لاتبدي حراكاً وليس فيها مايكشفها للعيان اذ ان لونها اقتم او اسمر وفيها بقع وخطوط وعقد تجعلها كقطعةٍ منفصلة من القشرة او كقشرة منقوبة وكذلك نقول عن الدويبة المسماة الجخدب الشائك «٢» membrace épineux التي اذا سقطت على غصن من الاغصان يحسبها الناظر اليها قطعة شوك ليس الا .

ان عدداً من الديدان مثل ديدان الصفصاف والسندر والخمان والزيزفون وشجرة الكينا تبقى ساعات طوالاً متشبثة بالاشجار ببعض جسمها وترخي مابقي منه منتشراً ممتداً جامداً اتم الجمود الامر الذي لايقوم به اشهر جبابرة زماننا ومما يساعدها على اختلاطها بالاغصان سمرة جسمها وانتشار العقد فيه .

---

(١) المغسقة مشتقة من اغسق فلان : اذا دخل في الغسق . وهذه الدويبة لاتظهر الا عند الغسق . ومن ذلك اسمها . وتسمى ايضاً بالمنقوبة (بتشديد الواو المكسورة) لان الناظر اليها يرى كأن ظهرها منقور وهي مشتقة من ثقوب من راسه مواضع اى تقشر ومن ذلك اسمها بلغة العلم ولذا جارينا اصحابها في وضع هذه اللفظة (لغة العرب)

(٢) الجخدب دويبة من رتبة النصفية الاجنحة المتشابهتها ، من فصيلة الصراصير ، قرناها مقرزان تحت كفاف الجبهة ، ومفصلاها الاولان قصيران ، ومقدم صدرها ذو طبقات كالورق وبارز كل البروز ومندغم ويكاد يمتد الى طرف الجسم . ولواتمها الامامية مورقة والخلفية مسننة في مشارفها ولها جبهة طويلة ومستديرة في الاخر كأنها مفصولة عن الراس ، وصدرها ذو طبقات كالورق وهو اعلى بكثير من بقية جسمها . (لغة العرب)

وهناك نوع آخر من الدويبات الغريبة تسمى الحشرات الخيالية «١» «phasmes» فانها لاتبين الا كجزء مفصول من الشوك الذي تستقر عليه ولا يرى منها اجنحة ولا ارجل وغاية مايظهر منها شيء كالقضيب فيه اشواك.

إن الدويبة المعروفة بالورقة اليابسة «phyllie-feuille-sèche» تتحول تمام التحول الى ورقة يابسة بحيث انه لايمكن تمييزها منها حتى اذا ادركها الجوع تقرض اجنحة بعضها كما تقرض الورقة الحقيقية وهي لاتعلم ماتعمل وموطن هذه الدويبة جزائر اوقيانيا.

هذا وفي الهندو ماليزيا نوع من الدويبات تسمى كليمة «kallima» وهي بهيئة فراشة كبيرة جميلة المنظر تراها اذا صفت تتلون بلون نارنجي وازرق واذا ادركها الملل وحطت على الشوك تغيب عن الابصار كانها تتعاطى السحر او تلبس قبع الاخفاء فتباغت الانسان الدهشة من تلك الحالة ولا يدري اين يتجسس اخبار تلك الفراشة الزاهية ولا في اي موطن يقف لها على اثر؟ اذ انها عند سقوطها على الشوك تاخذ صورة ورقة اعتراها الذبول وتتعلق بالاشواك ويظهر فيها ثقبان كالثقوب التي تعملها الحشرات في الاوراق.

فسبحان من خلق الطبيعة هذا الخلق البديع اذ جعلها تتفنن في تمثيل ذاتها لتظهر مافيها من حكمة الوضع فانها تتخذ من مواد مختلفة صورتين

(١) الحشرة الخيالية او الخيال وكذلك اسمها في لغة العلم هي جنس من الحشرات من رتبة المستقيمة الاجنحة من فصيلة الرواكض وهي ام قبيلة الخياليات او الطيفيات اجنحتها طويلة وقرونها شعرية اطول من جسمها والخياليات كثيرة الوجود في اميركة الجنوبية وبلاد الهند الشرقية وهي ذات محاكاة غريبة للكائنات التي تجاورها.

متماثلين لا تتميز احداها عن اختها قيد شعرة وما غرضها من ذلك الا محافظة حشرة صغيرة .

فيا هل ترى والحالة هـذه يجوز لنا ان نلفظ كلمة عرض او اتفاق عند مشاهدة هذه الغرائب؟ الا تظهر العناية الالهية فوق كل هذه العجائب تلك العناية التي ترعى مصلحة احقر الكائنات وحفظ اصغر الموجودات؟ اليس هذه هي العناية الالهية التي قال عنها السيد المسيح في انجيله الكريم: انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها . . . . اعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو انها لا تتعب ولا تغزل وانا اقول لكم ان سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها « متى ٦ : ٢٦ — ٢٩ » ؟

يوسف رزق الله غنيمة

(لغة العرب) اننا ادرجنا هذه المقالة لا لاننا نسلم بهذه المزاعم الواهية الواهية بل لنبين ان مذهب التحول معروف في هذه الديار كما هو معروف في غيرها وانه انتشر بما ابرزته مطابع ديار الشام ومصر من الجرائد والمجلات والرسائل والكتب وغيرها من المطبوعات . على ان هذا المذهب يتداعى اليوم في ديار الافرنج لقلة صبره على نار التحقيق، اذ لم يرج عندهم الا بقدر ما يروج الدرهم الزيف عند من لا يعرف حكمه وحقيقته اذا لم يحكه بالمحك ولم يعرضه على نار الامتحان .

ان هذا الرأي اي ان الحيوانات والنباتات تقلد المطبيعة بظواهرها فتتذرع في كل موطن بما يكفيها ضر او اذية اعدائها هو من الاعيب الخيال والوهم، لا من حقائق العلم المقررة . — ثم ان اصحاب مذهب التحول يقومون لهذه النظرية ويقعدون لها ويسمونها في اصطلاحهم « محاكاة الطبيعة » Mimétisme لكن العلماء الاثبات اصحاب النقد الصادق والخبرة التامة اثبتوا كذب هذا التوهم والتصور . لاننا ان سلمنا مثلا ان ارانب الديار الباردة المغطاة بالثلوج تكتسي بجلود بيضاء الشعر لمشابهتها لون الثلج لكي لا يميزها العائد من الثلج بخلاف لو كان لونها احمر مثلا، فهل يظن اول من تصور هذا الفكر ان الصياد وجده يقتل الارانب، وليس هناك عوامل اخرى تفني بعض الحيوانات والنباتات، والا كيف انقرضت بعض هذه الكائنات ولم يكن هناك ما تتصور لها اليوم من الاعداء . دع عنك وجود مخلوقات في الاقطار التي يتربا فيها بعض كائناتها يرى

الطبيعة وهي لاتجاريها بمحاكاتها اياها . وان وجد عشرة كائنات تتزيا بزى مايجاورها فان هناك مئات تخالفها لوناً وشكلا وصورة . وحسبك دليلا على ذلك ان تمد نظرك الى صحراء اوالى ضاحية لترى كذب هذا المقال .

ثم ان ما قيل فى هذا الراى هو مجرد تحكم بخيال القائل الاول والا فتصور ان اعداء هذه المخلوقات تنظر الى فريستها كما ننظر نحن اليها ، وتتوهم فيها الوهم الذى تتوهمه فيها ؟ — تنسب الى الحيوان والنبات حاجات وشواعر لا بل مشاعر وحواس بشرية كانها اناس مثلنا الا انها بصورة مختلفة عن صورتنا ؛ فناشدتك الله يا هذا هل ان كلاب البلاد الباردة وثعالبها وذئابها تنظر الى تلك الارانب بالعين التى ينظرها بها هذا المفكر . فلو كان كذلك لجاعت وماتت وانقرضت . فالظاهر اذاً ان هذا التفكر لايردعها عن طلب معيشتها ، ولا يصدها عن مطاردة طريدتها . — هذا فضلا عن ان الاحياء الدنيا وجراثيم الامراض الطفيلية لاتخيل كل هذه الامور وتجرى فى اعتبها بدون ان تلتفت الى صحة هذه التخيلات اوكذبها .

وعلى هذه السنة التى ذكرناها عن الحيوان ترى هؤلاء المتخيلون سنتهم فى النباتات ايضاً . فانهم ذهبوا الى ان وجود بعض الاشواك والسلاء فى طائفة من الاشجار كالعضاه والرتم والاسل والعرفج والقتاد والقرصنة هو لوقايتها من اكل الحيوانات اياها . يا سبحان الله ! فان كان الامر كذلك فلماذا الاغصان العالية اغصان تلك الاشجار التى لاتنالها الدواب لاتنبت بدون سلاء . ولماذا لاينبت سلاء لسائر انواع النباتات التى تعتلفها الماشية اوترعاها حتى لاتبيد ولا تنقرض . فمن ثم يتضح ان النبات ليس بانسان ولا كالانسان اذ لايمكنه ان يتصرف بالامور على مايشاء .

ان الباحثين من اهل الخبرة والتجربة قد اثبتوا ان الجو الذى يكثر فيه الماء يزيل السلاء والاشواك ويحيلها اوراقا والجو الذى تقل فيه المائية او لا رطوبة كافية فى ارضه تنبت تلك الاشواك اوتحيل اوراق الاشجار سلاء . وعليه تكون اليبوسة سبباً لتكوين الانسجة الليفية ومن هذه تنشأ الاشواك والسلاء ليس الا . فتشوهها اذاً لمقاومة السائمة امر عبث لاحقيقة له . هذا وهل حقيقة تخاف السائمة تلك الاشواك . فاننا نرى الجمال تأكل العاقول وانواع الاشواك وتستطيبها وتستمرئها ، بل اذا وجد بجانبها اعشبة غير شائكة فانها تفضل تلك على هذه . فما جواب اصحاب مذهب التحول على هذا الاعتراض . هذا فضلا عن ان انواع الدود تنفذ الى قلب الزهرة وتاكل الحبة اوالبزرة فتتلف وحدها من حبوب الاشجار وبزورها مالا تتلفه الدابة عند اكلها الورق . فما عسى ان يكون ذلك السلاح الذى تعده تلك الشجرة لتقارع به تلك الدودة . فهل السلاء يمنعها عن العيث ؟ .

يشبه اصحاب هذا المذهب رجلا رأى ثياب اهل البلاد الحارة واسعة الاكمام والاردان والاذيال

منفرجة الاسافل ثم شاهد ثياب اهل البلاد المعتدلة متوسطة بين السعة والضيق وثبت ان اهل البلاد الباردة لا يلبسون الا الثياب الضيقة التي لا ينفذها الهواء . فقال في نفسه : ان الثوب راى ان لابسه في البلاد الحارة يحتاج الى الهواء ، فاتسع ، ثم رأى ان صاحبه لا يحتاج الى ذلك بالقدر المذكور في البلاد المعتدلة فضاق قليلاً ، ثم رأى ان البرد يفرس الرجل اذا كان عليه ثياب فضفاضة فضاق وتجمع حتى لا يصيب صاحبه البرد . وعلى هذا تبين ذكاء الثوب اذ طابق حالته دائما لحالة البيئة التي وجد فيها .

قلنا: ومن لا يرى سقم هذا الاستدلال ؟ أفلو عكس المستدل هذا التعبير اما كان اقرب الى الصواب . أفليس صاحب الثوب هو الذي رأى مناسبة قطعه على تلك الصور الثلاث المختلفة تطبيقاً لها على مقتضيات اختلاف حالة الجو ؟ فليتأمل العاقل وليتصف في قوله .

وصف مدافن البحرين وصفاً مفصلاً

Description de la Nécropole de Bahreïn.

كل مدفن يشتمل على غرفتين كبيرتين الواحدة فوق الاخرى مبنيتين من قطع صخر ضخمة ولا يبعد انها قد قطعت من جبل الدخان الواقع في صحراء بعيدة ويوجد فيها ايضاً على جوانبها غرف وممار مسبحة بطين على غاية الاتقان ولا يوجد عقود اودعائم ويظهر ان الغرف قد بنيت قبل ان بنى سائر مايحيط بها من البناء . وهذا البناء محكم مجصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصغار الحجارة وكأن هذه المدافن قد اقيمت لمقاومة الدهر وصد اقاته فمحيط اساس اكبر التلال نحو خمسين ذراعاً وقد عثر القائد دورند على هيكل بشري في الغرف السفلى طوله نحو تسع اقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف حجاج العين (المحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسراً عديدة . ان رؤية بعض عظام الهياكل تدل على ان اصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر لنا انهم كانوا من وجوه الامة وسراة القوم وكان دفنهم يجري على خلاف ما كانت تدفن العامة على حد ماهو جارٍ اليوم عندنا في دفن البطارکة والمطارنة والملافنة والاساقفة وسائر الرؤساء الروحانيين بيد ان ذلك يحتاج الى بحث دقيق وفحص كثير وقد اكتشف حديثاً في المنعطفات